الدرس الخامس عشر

التعليق على كتاب الأمثال لابن القيم

الشيخ مشهور بن حسن ال سلمان.

قال ابن القيم: (**فصل في تشبيه من أعرض عن كلام الله، ومنها قوله تعالى في تشبيه من أعرض عن كلامه وتدبره: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد والرماة ففرت منه، وهذا من بديع التمثيل فإن القوم من جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله**

صلى الله عليه وسلم كالحمر فهي لا تعقل شيئا فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها.

وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وحضه على النفور فإن في الاستفعال من الطلب قدرا زائدا على الفعل المجرد

فكأنها تواصت بالنفور وتواطأت عليه، ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى: أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسه وشدته).

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن مُحَّد عبده و رسوله أما بعد.

من مقاصد الدين الكلية ثلاث أمور:

- الأمر الأول: أن لا يتشبه المسلمون بالكافرين.

- الأمر الثاني: ألا يتشبه المسلمون بالحيوانات.

- الأمر الثالث: ألا يتشبه الرجل بالمرأة.

فهذه مقاصد كليه للشريعة الإسلامية، والله جل في علاه في الأمثلة في القرآن الكريم شبه مجموعة من الخلق تشبيها دقيقا بجُمله من الحيوانات أجلَّكم الله، فمضى معنا التشبيه بالأنعام وفي هذا المِثال التشبيه بالحُمر الوحشية، وفي المثل الذي بعده التشبيه بالحُمر الأهلية، وفي المثل الذي بعده التشبيه بالكلب أجلَّكم الله تعالى، وهذه التشبيهات المذكورة في القرآن من باب تقريب المعنى لأذهان الناس ، وفي هذا المثل بيان كيف أن الناس قد عاش بينهم مُحَّد ﷺ وهو المجتبى الذي اجتباه الله تعالى واختاره والذي خلقه سبحانه وتعالى فربَّاه التربية اللائقة لأن يكون خاتم النبيين كيف

أنه كان بين ظهرانيهم ومع هذا لم تصله أنواره ﷺ مما جاء به من الشريعة.

فجواب السؤال أنه كيف لا يستفيدوا من رسول الله ﷺ وهم ما أخذوا عليه شيئاً.

من عاش مع النبي ﷺ و رآه وعرف سيرته وهديه يستغرب جداً هذا الاستغراب كيف هنالك أناس ما استفادوا من رسول الله ﷺ، وكما ذكرت لكم أكثر من مره فهو مُحَّد وهو أحمد ﷺ وينبغي أن يكون منقوشا في القلب ولا ينبغي أن يبتعد أبداً هذا الأمر عند كل مسلم أن النبي ﷺ مُحَّد وأحمد، ومعنى أنه مُحَّد هو مَجْمَع الخِصال الحميدة كلها (مُحَّد المِجْمَع) ومعنى أنه أحمد أنه ﷺ بلغ الغاية في كل خصلة من هذه الخصال هو مُجَمَّع الخِصال أولا فهو مُحَّد وهو أحمد وهو الذي بلغ الغاية في كل خصلة من هذه الخصال فهو ﷺ أُسوة لكل الخلق، للآباء، وللكبار ولكل الصفات المحمودة فقد بلغ الغاية في كل خصله من الخصال و مُحَّد ﷺ مُجَمَّع هذه الخصال ، و مُحَّد ﷺ اجتمعت فيه سُنه الله في خلقه وسُنه الله في شرعه، فالله الذي خلقه وهو يعلم أنه سيكون رسولا لله سبحانه وتعالى ومع هذا فإن الله رعاه ولذا كانت الحكمة العظيمة في أن الله أنزل القران مُنَجَّما بخِلاف من قبله من الأنبياء، من قبله من الأنبياء كان يُنَزِّل عليهم القرآن دفعة واحدة، أما مُحَّد ﷺ فالله الذي ربَّاه والله الذي رعاه، والله جل في علاه أنزل عليه القران مُنَجَّما في كل حين فيه تربية ومحطات تربية كانت تتوزع من أول حياته إلى آخرها وبقي السماء متصلا بالأرض الوحي جبريل عليه السلام المنزل من عند الله سبحانه وتعالى على قلب نبيه ﷺ، فمحمد كان له

ميزة خاصة من بين سائر الأنبياء عليه الصلاة والسلام فهو كما أجملنا.

مهما قُلنا مهما استطعنا أن نريد أن نمدح نبينا ﷺ ليس لنا أن نقول أقصى ما يمكن أن نقول هو مُحَمَّد وأحمد، أقصى ما يمكن أن نقول هو ﷺ مُحَمَّد وأحمد.

الكفار كيف لا يؤمنون به! لماذا لا يؤمنون به؟ سمعوا القرآن ولكن كانوا يهابوه ﷺ. في الآيات هذه على وجازتها فيها تشبيهان وهذان المثلان في هذه الآية ماثلة و ظاهرة ليست كامنة وفي العقيدة وهو قياس تمثيلي، وقلت لكم أن القياس التمثيلي لا يكون في حق الله أما في حق رسول الله ﷺ فهذا ممكن ومن تأمَّل وتدبر هذا المثل وجد فيه بلاغة شديدة ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس. المعقول الذي جاء به النبي ﷺ من الوحي وهو التذكرة ، والنبي ﷺ أدى مهمته بتأييد من ربه وبلَّغ الأمانة وكان النبي ﷺ يقرأ عليهم القرآن وكان العرب عربا لما، كان يقرأ عليهم القرآن يفهمون ماذا يريد الله عز وجل منهم، في صحيح البخاري النبي ﷺ الله قرأ على المسلمين والكافرين سورة النجم، وسوره النجم آخرها آية تلاوة فلما قرأ سورة النجم سجد الكفار والمسلمون لله عز وجل .

الشاهد أن الناس كانوا يعلمون صدق رسول الله ﷺ وكان الكفار يستجيبون لرسول الله ﷺ لما يقرا عليهم القرآن. ولذا الله عز وجل أمره ﷺ (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ)

تأمل معي الآية.

ماذا تفيد إن؟

التشكيك.

الواجب علينا أن نُذكِّر وهذا الذي فعله النبي ﷺ والله عز وجل قال: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22)} الغاشية.

الحديث «1035 حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ ، وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ ، عَنْ أَيُّوبَ» البخاري. إذن الحديث ليست للقمر و إنما للنجم.

و في الحديث حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزَّازُ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا – يَعْنِي النَّجْمَ – وَالْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ » سنن الترمذي

و الإنس والجن سجدوا مع رسول الله ﷺ، فالنبي ﷺ كان قد بلَّغ ما عليه وكان الكفار يجتمعون على رسول الله ﷺ وهو يصلي في مكة يسمعون القرآن و يأتون خِفية ثم ينظر بعضهم إلى بعض فيتعاهد بعضهم مع بعض ألا يعود لسماع القرآن فالقرآن كان يأخذ عقولهم ولكن الكِبْر وكانوا يقولون نحن وبني هاشم أصبحنا كطرفي

رهان، فقالوا منا نبي ماذا نقول ليس لنا إلا أن نجحد ونكذب رسول الله ﷺ. الكفار لما يسمعون رسول الله ﷺ مع اعترافهم بأن كتاب الله جل في علاه هو مُنَزَّل من عند الله عز وجل كانوا يهابوه كانوا يخافوه أقاموا معركة وهمية بينهم وبين الحق والحق له نور ونوره لا يُحجز ولا يُحجب عن الناس و إنما سيسطع وسيظهر في الأرض كلها. الله عز وجل يقول: { فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(٤٩)كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(٥١)} المدثر .تشبيه مُبتكر لحالة إعراض، وهذه حالة الإعراض مخلوطة برعب بما تضمنته آيات القرآن الكريم من قوارع القرآن، القرآن له قوارع وهذه القوارع تجعل بعض الناس لا يطيقون سماعها تأتي أحوال على القلب المعرض لا يسمع بعض الناس لما تقوم تُذكِّر يقول لك أُسكت ما أستطيع أتحمل، فحال المشركون مع القرآن مع تذكرة النبي ﷺ الله القران حال المشبه تذكرة بالقرآن وهي صورة غير محسوسة متصورة ذهنية والله جل في علاه شبه هذه الصورة حال تذكير النبي ﷺ بالقرآن للكافرين شبهها بصوره محسوسة والصورة المحسوس هي الحُمر الأهلية، وهذه الحُمر الأهلية إذا سمعت صوتا وفهمت أو أدركت وأحست أن هناك قانص أو صائد لها فتهرب ويستنفر بعضها بعضا فلا ترى نفيرا مثل نفير الحُمر الوحشية واضطرادها في العدو إذا خافت من شيء .

فالمراد هنا {فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ(50)} المراد الحمر ليست الحُمُر الأهلية، الحُمُر الأهلية مذكورة في المثل الذي بعده في سورة

الجمعة {مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا}، أمّا هذه الحُمُر هنا هي الحمر الوحشية، فإذا عايَنَت الحُمُر الأهلية القَسْوَرة (الصائد) أو الأسد -وسيأتينا كلام بعد قليل عن معنى القَسْوَرة- فإذا عايَنَت الحمر الأهلية الصائد أو الأسد فتهرب وتنفر نفوراً شديداً، وهكذا حال المشركين عند سماعهم آيات التذكير من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفي تشبيههم بالحمر دلالة على بلادتهم، أنهم بليدون وأنهم لا يعقلون، لما كان يأتي الرجل يُحَذّر من النبي -صلى الله عليه وسلم- تحذير شديد، يقول بعض الصحابة: (حتى وضعت الكُرسُف في أُذني)، الكُرسُف هو القطن، من شدة ما حذروني، قال: (وأنا أطوف في البيت) قُلت: (يا فلان أنت عاقل، سَيِّد قومِك، اخلع الكُرسُف واسمع لمحمد -صلى الله عليه وسلم-فإن كان محقاً تتبعه)، فلما خلع الكُرسُف -خلع القطن- من أذنيه قال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّداً رسول الله)، فأسلم وأسلم قومه من بعده.

نُفرة نفسية فيها رعب فيها خوف، وهذه النُفرة شبهها الله -جلّ في علاه- ولكنها نفرة لا داعي لها، العاقل ما ينبغي أن ينفُر ، بل ينبغي أن يَسمَع، لكن هكذا حال الكفر الذي يصاحبه عناد، فهم معاندون.

والذي يقرأ سورة الأنعام على وجه الخصوص من القرآن يعلم الصراع الذي كان بين الكفار وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن هذا الصراع قائم على عادات أَلِفُوها،

ولم يقم على حجة وبرهان ودليل، فالله -جلَّ في علاه- شبههم بقوله: {فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ(50)}، ما قال حُمُر نافرة أو قال حُمُر مُنْفِرَة أو مُنْفَرَة، بل قال: (مُسْتَنْفِرَة) بإدخال الألِف والسين (استنفر)، والألِف والسين أشار إليها الإمام ابن القيم في كتابه قال: (فإنّ الاستفعال من الطَلَبِ قَدَرَاً زائداً عن الفعل المجَرَد)، الألف والسين فيها معنى غير نَفَرَ، استَنْفَر غير نَفَرَ، وقُلتُ لكم مرات في هذا الدرس ويستدعي هذا أن أذكره وسأذكره أيضاً في قابل الأيام: (أنّ الزيادة في المبنَى تَدُلُّ على زيادة في المعنى)، وهذا أمر معروف عند العرب، فاستكمل غير كَمُلَ، واستجاب غير أجَابَ، واستعجب غير عَجَبَ، واستَسخَرَ غير سَخَرَ، واستَخرَجَ غير خَرَجَ، واستَنبَطَ غير نَبَطَ، فهذه السين فيها معنى زائد. قال الله -عزّ وجلّ-: {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ}، هذا للمبالغة، فذكر الله -عز وجل- قوله سبحانه وتعالى: {مُّسْتَنفِرَةٌ}، نافرة وكان هذا النفور نفراً قوياً، ومعنى أن النفور نفراً قوياً أي أنها تعدو بأسرع ما عندها من قوة، الحمار الوحشي وحده غير الحُمُر الوحشية مجموعة، فإذا ركضت الحمر الوحشية وهي جماعة تؤدي أقوى قوة عندها، يعني إذا تابعت هروب الحمر الوحشية من القناص أو الأسد إذا أراد أن يأكلها وهي مجموعة عَدْوُهَا أشدُّ مِن عَدْوِهَا مُفْرَدَةً، ولذا الله -جلَّ في علاه- ذكر حالها مجموعةً ولم يذكر حالها مفردة، ولذا قال: {مُّسْتَنفِرَةٌ}، أي يجعل بعضها بعضاً يَنفُر، فهي تركض مجموعة بأقصى ما

عندها من قوة، وكل منها يُنَفِّرُ ويَجعَلُ غيره نافراً في الهروب من رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

لذا دائماً في الخلاف، وهذه نقطة ينبغي أن ندركها أيضاً، ينبغي أن يدركها العقلاء ولا سيما الدعاة ولا سيما المصلحين، وذكر الله عز وجل هذا في كتابه فقال سبحانه وتعالى: {أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}، أم للإضراب، أتواصوا به؟ أي بالنّبي -صلى الله عليه وسلم-، بل هم قوم طاغون، طاغون من الطغيان، وهذه آية أصل في علم الاجتماع، وهذا الأصل أن الناس إذا تواصوا على شيء، سواءٌ كان هذا الشيء في حقٍ أم في باطلٍ، المحذور ألّا تكون طاغياً، إذا أردت أن تَمدَح لا تطغى المِدح، وإذا أردت أن تَذُم فلا تطغى في الذَّم، فالتواصي سبب مِن أسباب الطُغيان، في أي مسألة إذا تواصى الناس فيها يُخشى عليهم من الطغيان، سواءٌ كان هذا الطغيان في المدح أو في الذم، وكذلك ها هنا قال الله -عز وجل-: {مُّسْتَنفِرَةٌ} بمعنى أن بعضها يجعل البعض الآخر نافرة ويَحُثُّها على شدة العدو وشدة الهروب من الأسد، ولذا كان هذا التشبيه تاماً كاملاً بليغاً مبتكراً لم تعرفه العرب من قبل، وهو تشبيه يصحبه الخوف والرعب؛ الكافر يخاف، الكافر مرتعب، لماذا؟

الجواب: يريد أن يُحرره الشرع من أن يكون عبداً لنفسه ولشهواته، الكافر لما يرفض الشريعة السبب الرئيس والأصل في نفرته من الشريعة ما هو ؟

ما يريد أن يكون عبداً لله، يريد أن يبقى مجال للشهوات إلى آخره، لذا القوم يعلمون هذا، أعداء الاسلام يعلمون أن الاسلام جاء يحررهم من شهوات نفوسهم ومن الذل والخضوع الذي يتبع اتباع الشهوات.

متى الإنسان كان عبداً للشهوة حينئذ سهلٌ أن يَنقَاد، الذي يَصعُب أن ينقاد من كان قد حرر نفسه من الشهوة، هذا الذي لا يمكن أن ينقاد، لذا النّبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الحديث، وهذا الحديث يفهمه الكفار أكثر مِنّا، والسُنَّة العملية التطبيقية ظاهرة في المجتمعات، قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما)، وذكر أقوام معهم أسواط، وذكر نساء كاسيات عاريات، هل من صِلَةٍ بين الصنفين؟

الجواب: نعم الصلة قوية.

ما هي الصلة القوية بينهما؟

الجواب: مَن كان عبدا لشهوته وانشغل بفتنة النساء استَحَقَّ وما صَعُب عليه أن يُجْلَد، ومن كان عبداً للشهوة لا يستطيع أن يقول للظالم: يا ظالم ارفع عصاك عني، لا يستطيع أن يقول هذا، السبب ما هو؟

الجواب: عبدٌ لشهوته، ومَن كان عبداً لشهوته استبرأ الذُّل، وما استطاع أن يقول للظالم يا ظالم ارفع عصاك عني.

فبعض أهل العلم يقول استنباطا من حديث: (صنفان من أهل النار لم أرهما نساء كاسيات عاريات ورجال معهم أسواط كأسواط البقر يضربون به الناس) قالوا: الظلم السياسي والفساد الخُلُقِي وجهان لعملة واحدة، مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، الذل مع الفساد الخُلُقِي.

الحديث: {صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا}.

الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم.

الصفحة أو الرقم: 2128 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

الناس عبيد لشهواتهم فما استطاعوا أن يتبعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهم ينفرون وهذا النفور كالحمر التي يجعل بعضها بعضا نافراً هارباً وتتضمن هذه الصورة الرعب من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والرعب من الحق الذي جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

كُل مَن لم يَستجب لتعاليم الشرع في عنده رُعب، الرعب كلي، والرعب جزئي، ولكن لابد أن يكون عنده رعب وخوف من الحقيقة ومِن كِتمان الحق، (فالحق أبْلَج

والباطل يَتَلَجْلَج)، الحق واضح ظاهر؛ وقوة الحق ليس بقوة أهله وإنما قوة الحق إنما هي فيه، ويُشَرِّفُ الله تعالى بعض الخلق بأن يُبَيِّنَه وأن يدعو إليه، فالحق قوته فيه، ولذا مهما صنع أعداء الحق من تدابيرٍ لكبحه فأخيراً لا بد أن يفشلوا، الحق نور، والنور مهما كتمته فلا بد أن يسطع نوره، ولا يمكن أن يبقى حبيساً.

وهذا كله يتضمنه هذا المثل، فالله -عز وجل- يقول: {فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ(50)}، مُبالَغَة في الوصف، في وصفهم بهروب الحُمُر من القسورة، فَرَّت هذه الحُمُر، الفاعل هو الحُمُر، فَرَّت من قسورة.

ما هو القسورة؟

هذا أمر يستدعي إلى تفصيل شيء لابد منه، اختلف أهل العلم في معنى القسورة على قولين:

- القول الأول: الرامي أو الصائد، فَرَّت مِن قسورة المراد بها الرامي. الصائد. القناص الذي يريدها، لذا قال بعض أئمة اللغة كما قال الأزهري في تهذيب اللغة قال: (قسورة اسم جمع للرماة، لا واحدَ مِنهُ مِن جِنْسِه، والمراد فرَّت من قسورة أي: فَرَّت مِن الرُّماة)، هذا قول.

– القول الآخر: فرت من قسورة قالوا : قسورة هو (الأَسَد)، اعتُرِضَ على هذا بأن العرب لا تعرف من أسماء الأسد القسورة، فقال بعض المفسرين ونَسَبَ ذلك إلى عبد الله بن عباس –رضي الله تعالى عنهما– قال: (القسورة الأسد في لغة الحبشة).

وهذا يستدعي أن نتكلم بكلامٍ فيه شيء من تفصيل عن:

(هل يوجد في القرآن كلمات غير عربية)؟

كثيرٌ من الكلمات قالوا: هذه الكلمات غير عربية، واشتغل العلماء بهذه المسألة في احصاء هذه الكلمات، ومنهم من نَظَمَ، ومنهم من ألّف، والله –عزّ وجلّ– يقول: {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} سورة يوسف: (2) ، القرآن الله قال عنه أنزلناه بلغة العرب، فكيف يكون في القرآن كلمات غير عربية؟

وهذا كان بابًا عظيمًا لدراسات كثيرة وما زالت الدراسات قائمة، وطُبع منها عدد كبير ، وهي مهمة، والذي استقر عليه أهل العلم في هذا الباب وهو امتداد لكلام السابقين، وممن بذر البذرة الأولى في هذه المسألة الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة)، ثم طَوَّر هذا الكلام ووَضَّحه وبَيَّنَه الشاطبي في (الموافَقَات)، ثم ابن حزم في أوائل كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) طوّل في بيان هذه الحقيقة، وهذه الحقيقة: (أن أصل

اللغة هل هي توقيف من الله أم أنها باجتهاد؟ -أي أنّ الناس تواطؤوا فيما بينهم واجتهدوا على لغة معينة-.

أقوال كثيرة...

والذي بدا لي بعد دراسة: أنّ أصل اللغات توقيف من الله -عز وجل- قال تعالى: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا} سورة البقرة : (31) ، وأن أصل اللغات هي اللغة العربية، وجذور المواد اللغوية في العربية أوسَع لغة في العالم، ثم بافتراق الناس هُجِرَت بعض الكلمات، وعُرِفَت عن بعض الأقوام، فجاء المتأخرون فقالوا: هذه لغة الحبشة، وهي في الأصل من القرآن ومن اللغة العربية، أي أن أصلها عربي لكن العرب هجروها، وبعض الأقوام أخذوها من العرب وبقوا يتداولونها.

هذه الحقيقة التي أنا اتكلم فيها، البرهنة عليها يحتاج إلى باحث يُلِم بعدد كبير جداً من أصول اللغات، لأن اللغات لها أصول، وكل أصل تَفَرَّعَت عنها فروع، ومَن كان يَعلَم اللغات وتاريخ اللغات، يَعلم أن علماء الهند ولا سيما المسلمين منهم هُم السادة في معرفة اللغات.

مات من قريب من دون السنة، الشيخ الذي يسمي نفسه فانيا مبادي عبد الرحيم ابن عبد السُّبحان (1352- 1445 هـ/ 1933- 2023 م) المشهور بالاسم

المختصر ف. عبد الرحيم ، وكان يعمل في أواخر حياته في مجمع الملك فهد لخدمة القرآن الكريم، كان يتقن سبعة وعشرين لغة، ويلم بمثلها وزيادة .

المدرسة الاستشراقية الألمانية وعلماء الهنود من العلماء الذين لهم اطلاع واسع على اللغات، وذكرت لكم صنيع الهلالي، مُحَمَّد تقي الهلالي كان يتقن تسع لغات، وقرأ التوراة والإنجيل باللغات كلها، واستخرج من التوراة والإنجيل ما يدل على أن الله واحد، في كتاب صغير، قرأ التوراة والإنجيل بعدة لغات وطبع كتاب صغير بعشرين صفحة وسماه (البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية) .

فالشاهد أن قسورة هي أسد، عرفت بالحبشية، لكن ما وجد من استخدام اللغات الأخرى بالمعاني التي فيها هي أصلها مأخوذ من العربية وهجر مع مضي الزمن.

بعض الباحثين في الأردن واسمه (عبد الرحمن أحمد البوريني) كتب كتابًا بديعًا، ونظرت مثله في عدد كبير من اللغات، كتب كتابًا سماه (**اللغة العربية أصل اللغات**) الكتاب سهل، والنتيجة مذهلة، الكتاب عبارة عن قوائم:

القائمة الأولى الكلمة في القرآن التي لا يعرفها الناس –الغريبة–.

القائمة الثانية معنى هذه الكلمة.

هذا في سطر واحد وكل كلمة في سطر، والكتاب كبير، يعني كل صفحة في قرابة ثلاثين كلمة.

الأول الكلمة الغريبة.

الثانية معناها من خلال القواميس –تفسير المعنى–.

الثالث رسم الكلمة باللغة الإنجليزية.

الرابع ترجمة المعنى.

ترجمة المعنى باللغة الإنجليزية يساوي المعنى المذكور في القائمة الثانية.

والكتاب كبير وكل كلمة ثلاثين سطر، قال: هذا أصل بأن أصل اللغة الإنجليزية مأخوذة من القرآن.

يعني مئات الكلمات لما تترجمها للعربية وتنظر للكلمة الغريبة ومعنى الكلمة الغريبة في اللغة العربية الموجود لها ذكر في المعاجم العربية، تجد الترجمة هي نفس المعنى وهكذا رأيت دراسة باللغة الإسبانية .

فأصل اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، ورد في ذلك أحاديث ضعيفة ولم تثبت.

وكتب في هذه المسألة طلبة جامعة مُحَمَّد الخامس لما أصبح يدرس فيها مُحَمَّد تقي الدين الهلالي، وكان يدرس فيها العبرية .

طبعًا العبرية والعربية الفرق بينهما كبير أقليل؟

لو تسمع أنت واحد عبري يخاطب بالعبرية تفهم أشياء، أنت عربي تفهم أشياء .

يقول ابن القيم في كتابه الفروسية: قرأت كلامًا لابن جني حول التشابه بين العبرية والعربية على شيخ الإسلام ابن تيمية، قال فلما فرغت قال لي أعده ، فأعدته ثم قال لي أعده فأعدته، قال فأصبح يتقن العبرية، من خلال التشابه بالقواعد الكلية يستطيع الإنسان أن يفهم العبرية.

فقالوا: العبرية بنت صغيرة للعربية ، فالتشابه بين العبرية والعربية كبير.

بل على أصل القاعدة التي قررها ابن حزم في أوائل كتابه واستهجن ورد على من زعم أن اللغات كلها ليست توقيفية، قال: (اللغات كلها توقيفية).

ماذا يعني توقيفية؟

يعني من الله عز وجل .

هل اعتراها اجتهاد ؟

اعتراها اجتهاد.

فثمرات الاجتهاد هذه أصبحت خصيصة، كلمة خاصة بلغة فلان وهذه خاصة بلغة فلان، ولكن الأصل أن كلها لغة عربية.

فمعنى فرت من قسورة احتملت أن يكون الأسد والأسد هو الصياد للحمر الوحشية أكثر ما يطمع الأسد في الصيد أن يمر على مجموعة من الحمر الوحشية.

والشاهد أن الله جل في علاه شبه حال المشركين لما يسمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحال بهم أمر ليس محسوس إنما هو أمر معقول شبهه بصورة ، وهذه الصورة بحال الحمر الوحشية لما تهرب من الأسد، وفي هذا تضمن أن نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم في دعوته لهم كأنه أسد لتشبيه النبي بالقسورة، يعني التشبيه يتضمن تشبيها أخر وفي هذا إشارة إلى أن القوة التي أتاها الله جل في علاه لنبيه صلى الله عليه وسلم قوة لا يمكن أن يعدل عنها النبي صلى الله عليه وسلم كان دائمًا قوي لذ قال أنس وغير أنس قال لما كان يحمى الوطيس في المعارك كنا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله قال عن النبي صلى الله عليه وسلم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فالنبي ما قتل بيده مع قوته إلا رجل واحد رئيس المنافقين أبي بن خلف وكان يتوعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتله وكان عنده فرس يعلفها ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني قاتلك في مكة،

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول له في رباط الجأش كان يقول له أنا قاتلك إن شاء الله، فالتقى معه يوم أحد فجاء له النبي صلى الله عليه وسلم ومعه شخص أخر بجانبه فطلب أن يأخذ من النبي الحربة، فقال أعطني إياها، فوجد فرجة تحت الدرع الذي يلبسه فناوله إياها فسقط ميتا قبل أن يسقط ميتًا مات موتا ما نزل منه قطرة دم فكسر أضلاعه وذهب وخرج وهو خائف، فأبي بن خلف خرج خائفا مرتعبا، فلما سئل عن رعبه قال هو قال لي أنه سيقتلني فقتله النبي صلى الله عليه وسلم.

نرجع لكلام الشارح رحمه الله فقال هذا من بديع القياس التمثيلي، القياس التمثيلي مثل النبي مثل الله جل في علا في القياس بحال الكفار حال سماعهم الآيات بالحمر المستنفرة، وقلت يتضمن تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم بقوته في دعوته بالأسد وهذا إشارة إلى أن الداعي إلى الله عز وجل ينبغي أن يكون مليئًا بالثقة بالله سبحانه وتعالى، نحن اليوم نحتاج إلى أشياء كثيرة حتى نمتلئ بالثقة بالله سبحانه وتعالى، أن نثق بعلمائنا وتراثنا وأننا السادة وكيف شوه هذا التراث وكيف سرق وفضل هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم حتى تمتلئ ثقة بأمتك، وبيان وهذا سيأتينا لاحقا في الدرس المثال اللاحق الأخر يعني شيء من التفصيل فيه أن الله جل في علاه كما خص نبيه صلى الله عليه وسلم بخصائص، خص أمته بخصائص، النبي صلى الله عليه وسلم معصوم وهذه العصمة ما بقيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وإنما تعدت إلى أمته، فأمته صلى الله عليه وسلم معصومة بجملتها ، أمتي على ضلالة، هذا كلام ابن

مسعود وليس كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم، لم يصح ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا، لكن صحيح لا يمكن لامة مُحَّد صلى الله عليه وسلم في يوم من الأيام أن تجتمع على ضلالة، لذا قال بعض علماء الجرح والتعذيب قال أمة مُحَّد صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن تجتمع على توثيق ضعيف ولا على أعلى تضعيف ثقة، وهو مأخوذ من أصل المسألة ، فالله الذي يرعاها والله الذي يحفظها.

لو الذي يجري في ما يجر امة مُحَّد صلى الله عليه وسلم من مؤامرات و من فتن نالتها الأعداء وكان هذا التراث بشريًا ولم يكن ربانيًا من الله عز وجل لاندثرت وذهبت وما بقيت، فالذي يحفظ هذه الأمّة الله جل في علاه.

قال: (**فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً وحضه على النفور**)

هذا حال الحُمر الأهلية في أوّج ذهابها.

ثم قال: **ومن قرأها بفتح الفاء.**

قول الله عز وجل (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)، مستنفرة فيها قراءتان:

- قراءة بكسر الفاء [مستنفِرة] ومعناها أن يجعل بعضها بعضاً ينفر.

- وهنالك قراءة أُخرى [مستنفَرة] بفتح الفاء، وقراءة فتح الفاء هي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر.

فنافع وابن عامر وأبي جعفر يقرؤونها مستنفَرة، والمعنى استنفرها مستنفرٌ ، والذي أنفرها على هذه القراءة، هو القسورة.

القسورة جعلها [مستنفَرَة]، وقراءة [مستنفِرة] هي تجعل بعضها بعضاً ينفر وهي قراءة الكافة.

فمستنفِرة بكسر الفاء ومستنفَرة بفتح الفاء.

ومستنفِرة فيها معنى زائد عن مستنفَرة .

هي تحصيل حاصل مستنفَرة، لأنها فرت من قسورة ، والقسورة ليس موجود فقط ، هو موجود ويهدد وجودها.

فهي مستنفَرة هو الذي نَفَرَها وجعلها تنفر، أما مستنفِرة جعل بعضها بعضاً ينفر.

فإذاً هذا المثل يدور تشبيه شيء معقول بشيء محسوس.

فصل: مثل الذي حُمِّل الكتاب ولم يعمل به، ومنها قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) فقاس سبحانه من حمله كتابه ليؤمن به ويتدبره

ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب فقرأه به بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له (ولا) تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته.

هذا مثل آخر للذين حملوا التوراة، ولكن هذا المثل بالحمار الأهلي الأشدُّ بلادة من الحمار الوحشي، الحمار الوحشي أشدُّ سرعة وركضاً ، والحمار الأهلي أشدُّ حملاً وأشدُّ بلادة وفهماً. فكان في التذكرة بالحمار الوحشي، وبالحِمِل الحمار الأهلي.

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) مثلٌ يثير الانتباه، من الذي حُمِّل التوراة ثم لم يحملها؟ وكيف يكون كذلك؟!

المثل مداره أيضاً على صورة معقولة مُتَصَوَرة بصورة محسوسة، والذي حمَّله الله الأمانة فلم يحملها ولم يرعها ولم يؤدي حقها، فحمل الأمانة والواجب على من حملها صورة متصورة، شبهها الله بالصورة المحسوسة، والصورة المحسوسة الحمار -أجلكم الله- وهذا الحمار فوقه أسفار يحملها.

الجامع بين المشبه والمشبه به الجهل ما يحمل، يجهل الإنسان ما يحمل، الجهل بالمحمول.

ويتضمن هذا المثل ذم لمن لم يحمل العلم ولا يعمل به ولا يستفيد منه، وهذا ظاهر في المشبه به وهو الحمار، الذي يحمل على ظهره كتباً نفيسة ثقيلة كثيرة واضحة بيّنة سماها الله أسفار.

وسمي السِفِرُ سِفراً لكِبَرِه ووضوحه، ومن قرأه أسفر له عما يريد، لكن هو يحمله فقط، حاله كحال الذي يحفظ القرآن ولكن يجهله ولا يعلم ما فيه.

فجناية من حمل التوراة ولم يفهمها الخيبة والخسران بل إقامة الحجة عليه، والمثل ليس خاصاً باليهود بل المثل أيضاً لمن اشترك معهم في هذا الوصف، فكل من يحمل القرآن الكريم ولو حفظه عن ظهر قلب ولكن لم يتدبره ولم يفقهه وما اتبعه وما عمل به فهو كالحمار يحمل أسفاراً ، بل هو أسوأ منه لأن الحمار لا فهم له وهذا يزعم أنَّ له فهم.

فالمثل يدور على مسؤولية حمل الأمانة التي أرادها الله عز وجل للبشر، فتبدأ هذه المسؤولية بالفهم والإدراك وتنتهي بالعمل والدعوة إلى الله عز وجل بما فهم هذا الإنسان.

ويتضمن هذا المثل التحذير لمعظم المؤمنين عن العدول عن منهج القرآن وعدم العمل به.

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا)

حمّلوا ليس هو من الحِمل على الظهر، هذا الحمل على الظهر في المشبه به، أما الذي حمل القرآن أو الذي حمل التوراة إنما هو الكفالة والضمان كما قال الله عز وجل: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا).

حملها الإنسان كقوله حُمِّلوها، ليس هو الحِمل المادي وإنما هو الحمل الذي يتضمن الكفالة.

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)

الأسفار جمع سفر، وهو الكتاب الكبير وهو الذي يسفر عن ما فيه، من قرأه يسفر عما فيه.

لماذا شبههم الله عز وجل بالحمار؟

ليس فقط رعاية للفظ، بمعنى مراعاة رؤوس الآي.

حمار وأسفار، تقول حمار وأسفار بينهما في اللفظ صلة، لكن ليس هذا هو الأمر فقط الله عز وجل ذكر لنا في أوائل سورة النحل قال: (الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)، الزينة أكثر شيء ظاهرة في الخيل، وقال لتركبوها وزينة فالزينة في الخيل أكثر وأظهر بالنسبة الى الركوب وحمل الشيء عليه. في البغال دون ذلك، في الحمار دون ذلك. فالبغال كالمتوسط في الحمل والزينة، والحمار في الحمل هو أظهر وأغلب بالنسبة إلى الخيل والبغال.

فالله خلق الحمار وأظهر شيء فيها الحمل، والزينة في الخيل -سمي الخيل خيلاً لأنه يتخايل وهو يمشي- هكذا قالوا عن الخيل خيل لأنه يتخايل لما يسير، لذا الجمال في الخيل يضرب به المثل. والكلام في هذا طويل.

فالله عز وجل شبّهَ هؤلاء الذين حملوا التوراة ولم يحملوها بالحمار لأسباب، لإظهار الجهل والبلادة- فالحمار أبلد الحيوانات على الإطلاق- ابلدها واجلدها، عنده جلد على الحمل وبليد، كذلك في الحمار ذل وحقارة وهو لا يوجد في غيره من الحيوانات.

الأصل في حمل القرآن، وحمل كتب الله عز وجل العزة والرفعة والسمو والعلو، لكن الذي يستخدم الكتاب المنزل من عند الله لأهوائه وأغراضه الشخصية عنده ذل وعنده حقارة، وهذا ظاهر بلا أدنى شك.

لا يستطيع الإنسان أن يعبر من حال ما يرى من الذل والحقارة التي تلحق بمن انتسب للدين، وهو لا يريد دين، وإنما يريد أطماعاً ويريد أغراضاً ويريد مناصب ويريد مكاسب، وهذه المناصب والمكاسب دنيوية محضة لا ترفع صاحبها عند الله عز وجل، وهذا المثل ظاهر جداُ في المثل الآتي وهو في الكلب كما ذكره الله عز وجل في المثل الذي إن شاء الله نعرض له في درسنا القادم.

فالمثل فيه تحقير وفيه بيان البلادة، وأنَّ هؤلاء الله عز وجل لا يرفعهم.

مثل الذين هم التوراة ثم لم يحملوها، لم يؤدوا حقها ولم يحملوها حق حملها.

(بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ)

الذي يقرأ الآية ويربطها بما قبلها، ونحن الآن لا نستطيع أن نتكلم بتفصيل لأننا لسنا في درس تفسير، أن نربط الآيات بالتي قبلها والآية في سورة الجمعة، والآية فيها بيان أن النبي ﷺ مذكور عند السابقين، يتضمن معنى قول الله عز وجل: الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ ، الذين جحدوا مُحَمَّداً ﷺ، ومُحَمَّد ﷺ مذكور في التوراة ومذكور في الإنجيل ولكن أهل التوراة وأهل الإنجيل تواطؤوا فيما بينهم على جحد نبوته صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الإشارة مثل القوم الذين كذبوا بآيات، الله فمحمد صلى الله عليه وسلم آية من آيات الله أخبر عنها عيسى عليه السلام وأخبر عنها موسى عليه السلام وهي مذكورة في التوراة ومذكورة في الإنجيل.

قال: (والله لا يهدي القوم الظالمين).

وكما ذكرنا هذا المثل يتضمن من حمل القرآن ثم أعرض عنه وهجره. وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (الفرقان30). فهجر القرآن يكون بترك قراءته باللسان، وترك تدبره هجران بالقلب، وترك العمل به هجران بالأركان ، وكل هذه الأشياء يتضمنها الآية: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان30).هجروه بالقراءة باللسان وهجروه بالقلوب بالتدبر وهجروه بعدم العمل بالأركان، بعدم العمل بأوامره فكل هذا يشمل معنى الدعاء.

الإمام ابن القيم له كلمات آتي على عجلة وأختم والدرس قد طال أختم بكلامه يقول في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية: (**الْغَرَضُ تَشْبِيهُ حَالِ الْيَهُودِ فِي جَهْلِهَا بِمَا مَعَهَا مِنَ التَّوْرَاةِ وَآيَاتِهَا الْبَاهِرَةِ بِحَالِ الْحِمَارِ فِي جَهْلِهِ بِمَا يَحْمِلُ مِنْ أَسْفَارِ الْحِكْمَةِ، وَتُسَاوِي الْحَالَتَيْنِ عِنْدَهُ مَنْ حَمَلَ أَسْفَارَ الْحِكْمَةِ وَحَمَلَ مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَوْقَارِ**).

الحمار لا يُفرّق المحمول هل هو من أسفار الحكمة أم هو غيره من الأحمال؟ هل هو شيء آخر؟ لا يُصدّق فالذي يحمل التوراة وما فهم ما على ظهرها يعني ولم يفهمها ولم يؤدي الحق الواجب عليه كحال الحمار الذي لا يُفرق بين ما هو محمول عليه.

اللفتة قبل الأخيرة في كلام الإمام رحمه الله تعالى في الداء والدواء يقول: **وقد شبّه الله تعالى أهل الجهل والغيّ بالحُمُر تارةً ، وبالكلب تارةً ، وبالأنعام تارةً. وتقوى هذه المشابهة باطنًا، حتّى تظهر في الصورة الظاهرة ظهورًا خفيفًا.**

فكرة الإمام ابن القيم يقول شيء مهم الله عز وجل أخبرنا أنه سيكون في آخر الزمان مسخ ويقول هذا المسخ يبدأ بالداخل يعرفه أهل البصيرة ويبقى يشتد يشتد ويقوى ويظهر تظهر آثاره حتى يظهر المسخ لكل صاحب بصر ، يبدأ المسخ بأصحاب البصيرة يعرفون الممسوخين وينتهي كل من يرى أن هؤلاء ممسوخين، فالمسخ كيف يبدأ بالإنسان؟

يبدأ بالداخل ثم يقوى ويقوى ويقوى حتى يصبح الآن الإنسان ممسوخاً كما حصل مع اليهود إخوان القردة والخنازير.

صاحب البصيرة يعرف أنه هو ممسوخ قبل أن يكون كلباً أو أن يكون خنزيراً وكل صاحب بصر لما يراه قد مُسخ علم أنه قد مُسخ فالمسخ يكون في آخر الزمان على هذا الحال.

واللفتة الأخيرة وهي مهمة ومهمة جداً يقول ومُحَمَّد ﷺ كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه هداية الحيارى في الرد على النصارى، كلامه جميل جداً ونختم بهذه اللفتة، يقول: (**وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَأْيِيدًا لَمْ يُؤَيِّدْهُ لِغَيْرِهِ،**

فَعَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَمْ يَخَفْ مِنْ شَيْءٍ يَقُولُهُ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ مَا لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرَهُ.

فَالْكِتَابُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ، فَالْكِتَابُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ، فِيهِ بَيَانُ حَقَائِقِ الْغَيْبِ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ غَيْرِهِ، وَأَيَّدَ أُمَّتَهُ تَأْيِيدًا طَاقَتْ بِهِ حَمْلَ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ).

هذا أمر مهم وهذه البديهيات والمسلمات أن تعلم أن الله خلق مُحَمَّداً ﷺ وخلق له أصحابه ليحملوا هذه الأمانة، فالله خصَّ مُحَمَّداً بأنه اختار له أصحاباً هو الذي ربّاهم وهو الذي خلقهم.

لذا الذي يطعن في أصحاب رسول الله صلى الله وسلم هو في حقيقة الأمر يطعن في رسول الله ﷺ لا، إنما يطعن في الله ، ليس فقط في رسول الله ﷺ.

فاليهود هذا شأنهم حُمِّلوا التوراة ولم يحملوها، وأما أهل الإسلام فالله الذي اختار منهم من حملها، فخصَّ الله أقواماً من أمة مُحَمَّد ﷺ بدايةً من صحابته إلى قيام الساعة بأن حملوا هذه الأمانة وأدّوا ما أوجب الله عليه من حملها.

ولذا شر الأمم علماؤها عند غير المسلمين وخير الأمم علماؤها عند المسلمين. غير المسلم كلما كان له مرتبة منزلة عند قومه في العلم كلما ازداد شرّه وازداد إثمه وساء

حاله، وأما في الإسلام فكلما ازداد في العلم والعمل وحمل الأمانة والدعوة إلى هذا الدين كان هو الأفضل وكان هو الأحسن.

فلفتة مهمة للإمام ابن القيم أن اليهود حُمِّلوا ولم يحملوا وأن أمة الإسلام حملوا الأمانة وكانوا أهلاً لها وسيبقوا أهلاً لها إلى قيام الساعة.

فقال رحمه الله تعالى: **وَلَا رَيْبَ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ عُقُولًا، وَأَعْظَمُ إِيمَانًا، وَأَتَمُّ تَصْدِيقًا وَجِهَادًا، وَلِهَذَا كَانَتْ عُلُومُهُمْ وَأَعْمَالُهُمُ الْقَلْبِيَّةُ وَإِيمَانُهُمْ أَعْظَمَ، وَكَانَتِ الْعِبَادَاتُ الْبَدَنِيَّةُ لِغَيْرِهِمْ أَعْظَمُ.**

ممّ امتاز به أهل الإسلام عن غيرهم أن أهل الإسلام الفضل في العمل الأعمال القلبية وفي غيرهم أن الفضل عندهم في الأعمال البدنية.

الآن من أوسع عندنا في ديننا؟

الأعمال البدنية أم الأعمال القلبية؟

الأعمال القلبية.

تموت على سريرك في بيتك وتُحشر يوم القيامة مع الشهداء، السبب؟

عمل قلبي صدق مع الله.

يا رب يا الله لو كتبت الجهاد لكنا إن شاء الله تعالى أنصاراً لدينك، فالله يعاملك بعملك القلبي ولا يعاملك بعملك البدني وهكذا.

فتضمن هذا المثل بأن خير الأقوام هم المؤمنون وهم خير أهل الأديان بخلاف غيرهم.

هذا والله أعلم .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه أجمعين.

خدمة الدرر الحسان